INTERNATIONAL JOURNAL OF CONTEMPORARY EDUCATION, RELIGIOUS STUDIES AND HUMANITIES

الإعجاز التخيلي في القرآن الكريم

THE IMAGINATIVE MIRACLE IN THE HOLY QURAN

YAHYA ABDELFATTAH ALY EWIS,[1] ZULAZHAN AB. HALIM[1] & ELSAYED MOHAMED SALEM[2]

1 Faculty of Languages and Communication, Sultan Zainal Abidin University, Gong Badak Campus, 21300 Kuala Nerus, Terengganu, MALAYSIA.
E-mail: zulazhan@unisza.edu.my

2 Faculty of Languages, Al-Madinah International University, Taman Desa Petaling, 57100 Kuala Lumpur, MALAYSIA.
E-mail: elsayed.salem@mediu.my

Received: 10 October 2023 *Accepted: 28 October 2023* *Published: 11 November 2023*

ملخص: يتناول البحث قضية الإعجاز التخيلي في القرآن الكريم من الناحية البيانية. ولما كان أسلوب كتابة البلاغة والبيان به شيء كبير من الجفاف الفلسفي في طرح الفكرة، أثر ذلك في تناولهم للنص القرآني، لتظهر مشكلة عدم ترابط النصوص، وعدم الاكتراث بوحدة بنائها في الغالب. وبدل من أن تُتناول نصوص القرآن على أنها ذات وحدة بنائية واحدة، عرضت بطريقة فردية من أبعاض وكلمات وحروف فهذا تشبيه وتلك استعارة وهذا مجاز، فضاعت وحدة بناء النص القرآني، مع ندرة التأليف في هذا المجال، فكان من أهداف هذا البحث التعريف بالتخييل الفني، وإبراز الصور الإعجازية في القرآن الكريم. واتبع البحث المنهج الكيفي في تحليل الظاهرة القرآنية، وأتبعه بالمنهج الاستقرائي لتتبع آيات القرآن الكريم وصياغتها بالتخييل الفني، فكانت أبرز نتائجه أن طريقة التخييل الفني هي أرقي أداة للوصول لوحدة بناء النص القرآني وتماسكه وتناغمه، لما فيه من تناسق وإيحاء وظل وترابط، ينتج عنه وحدة شمولية واتضح ذلك من خلال تحليل آيات الأمثال، ومشاهد النعيم والعذاب، وقصص القرآن، فأسهم بذلك لكل منشغل بعلم البيان والإعجاز والتفسير.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز، التخيل، القرآن الكريم، الصورة.

Volume 3, Issue 4, 2023

Abstract: The research deals with the issue of imaginative miracles in the Holy Qur'an from an *'ilm bayan* standpoint. Since the style of writing eloquence and statement had a great deal of philosophical dryness in presenting the idea, this affected their approach to the Qur'anic text, so that the problem of the lack of interconnectedness of the texts appeared, and the lack of attention to the unity of their structure in most cases. Instead of dealing with the texts of the Qur'an as having a single structural unit, they were presented in an individual way, consisting of elements, words, and letters; this is a simile, that is a metaphor, and this is a metaphor. Thus, the structural unity of the Qur'anic text was lost, with the scarcity of writing in this field. One of the goals of this research was to introduce artistic imagination and highlight miraculous images in the Holy Quran. The research used the qualitative approach in analyzing the Qur'anic phenomenon and followed it with the inductive approach to trace the verses of the Holy Qur'an and formulate them with artistic imagination. Its most prominent results were that the method of artistic imagination is the finest tool for reaching the unity of the structure of the Qur'anic text, its cohesion and harmony, because of its consistency, suggestion, shadow and interconnectedness, resulting in a comprehensive unity. This became clear through the analysis of verses of proverbs, scenes of bliss and torment, and stories of the Qur'an, thus contributing to everyone concerned with the science of explanation, miracles, and interpretation.

Keywords: Miracle, Imagination, The Holy Quran, Image.

Cite This Article:

Yahya Abdelfattah Aly Ewis, Zulazhan Ab. Halim & Elsayed Mohamed Salem. 2023. al-I'jaz al-Tahili fi al-Qur'an al-Karim [The Imaginative Miracle in The Holy Quran]. *International Journal of Contemporary Education, Religious Studies and Humanities (JCERAH)* 3(4), 31-40.

المقدمة

القرآن الكريم بظلاله الوارفة كالحديقة الباسقة دانية الثمار سامقة الفروع لا يذبل ورقها ولا يغيب ثمرها، فهي ذات ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، (وكان من تمام نعمة الله علي هذه الأمة أن جعل معجزة رسولها هي نفسها معجزتها الباقية ألا وهي القرآن الكريم، الذي لا تفني عجائبه ولا تنتهي فوائده (Muhammad Diraz, 2000) والقرآن يثير كوامن النفس البشرية ويزيل عنها غبش الحياة، لينفذ إلى الفطرة النقية ويطرق عليها طرقا عنيفا لتدبَّ فيها الحياة من جديد، فينقذها من براثن الظلمات إلي رحاب النور. إن سر الإعجاز في التعبير القرآني أنه يستخدم ألفاظا وتعبيرات مألوفة، يستخدمها الأدباء من البشر، ولكن عندما تتناولها الريشة القرآنية فسرعان ما تدب فيها الحياة الشاخصة (Solah al-Khaledi, 2012)

وهنا يأتي هذا البحث المتواضع، ليضع للقارئ سبيلاً لتدبر كتاب الله تعالى، من خلال النظر في آيات القرآن الكريم التي تشتمل على التخيل الفني ليرسم لنا صورة فنية من صور الإعجاز القرآني، للوصول إلى وحدة متلاحمة من البناء القرآني. ولما كانت أساليب كتابة البلاغة والبيان بها شيء كبير من الجفاف الفلسفي في طرح الأفكار وفي طريقة العرض، حتى وصلت بالقارئ إلى مناح بعيدة كل البعد عن التأثير الوجداني بعيدة عن الوحدة البنائية لانشغالها بالألفاظ المنفردة من غير اهتمام بالترابط والتناسق والالتحام، فكانت طريقة التخييل الفني هي الطريقة المثلي التطبيقية في طرح صورة شمولية لوحدة بناء النصوص القرآنية.

ومن ثم يهدف البحث إلي بيان المقصود بالإعجاز التخيلي في القرآن الكريم، وتحليل الآيات المشتملة على التخييل تحليلا تخيلي.

التخييل

التخييل فن جميل بديع، وقد كان له مكانة كبيرة عند الحركة الشعرية الرومانتيكية القديمة، إيمانا منهم بقدرة الخيال، ولما له من دور فعال لا بقل عن دور العقل (Fatimah Sa'ed, 2018). به يرقي مفهوم الأشياء من حولنا في صورة ذهنية غير متحققة في الواقع غالبا، أو متحققة، نرى به الكون الفسيح يتحرك ويتمايل ويحاور فهو أداة التصوير العظمى به يجول وعليها يصول. والمتخيل يقوم بعمل شاق في ذهنه حتى يستطيع رسم صورة كاملة بشخوصها وألوانها وظلالها وموسيقاها، حتى يكون العمل الفني في أبهى صورة.

يقال: تَخَيَّلَ له أنه كذا، أي تَشَبَّهَ وتَخايَلَ ويقال: تَخَيلْتُهُ فَتَخَيَّلَ لِي، كما يقال: تصورْته فتَصوَّر لي، وتبيَّنته فتبيَّن لي، وتحقَّقتُه فتحقَّق لي (al-Jauhari al-Farabi, 1987). فهو ليس من ضروب الوهم كما يظن البعض.

والْخَاءُ وَالْيَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى حَرَكَةٍ فِي تَلَوُّنٍ. فَمِنْ ذَلِكَ الْخَيَالُ، وَهُوَ الشَّخْصُ. وَأَصْلُهُ مَا يَتَخَيلُهُ الْإِنْسَانُ فِي مَنَامِهِ ; لِأَنَّهُ يَتَشَبَّهُ وَيَتَلَوَّنُ. وَيُقَالُ خَيلْتُ لِلنَّاقَةِ، إِذَا وَضَعْتَ لِوَلَدِهَا خَيَالًا يَفْزَعُ مِنْهُ الذِّئْبُ فَلَا يَقْرَبُهُ (Ibn Faris, 1979) والتخييل هو أساس التصوير الفني فبه يصول المرء ويجول في عالم التصوير، فهو نواته الأولى وعليه تبنى كل عناصره.

التخييل في الاصطلاح

يقول الأستاذ سيد قطب (2013): "هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإحتبالمعني الذهني هيئة أو حركة، وإذا بالحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا بالنموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ... فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل، فما يكاد يبدأ العرض حتي يحيل المستمعين نظارة، وحتي ينقلهم نقلا لمسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع، وينسي المستمع أن ذلك كلام يتلي ومثل يضرب، فهي شخوص تروح على المسرح وتغدوا ... وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة، فتنم عن الأحاسيس المضمرة، إنها الحياة هنا وليست حكاية الحياة." وأنه أقرب ما يكون لعميلة الإخراج السينمائي، لكن بدون

معداته، فهو تعبير عما يجيش في نفس الكاتب من مشاعر جياشة. يحلق بها في أجواء خياله. فيحاول أن يرسم صورة فنية، عن طريق جمع عناصر التصوير من شمولية لجميع جزئيات الصورة المتخيلة، ونقطة الارتكاز من أصل الحدث، وايحاءاتها وظلالها التي تشير إلى ما وراء اللوحة من معان، في تناسق بين أجزائها وألوانها وجوها، ملتحمة ببعضها في تسلسل موضوعي، تحكمها مدة عرض تتناسب مع المشهد المعروض، حتى يوفي بالغرض، ويتم التخييل بجميع أركانه.

الصوت التخييل في أمثال القرآن

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني (2004) في الأمثال: "واعلم أنّ مما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبَةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكَلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفاً." ولذا كثرت أمثال القرآن الكريم وتعددت أساليب سبكها ونظمها وسوف نتعرض في البحث لطرق عرض بعضها.

الجانب التطبيقي

قال تعالي ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور: ٣٥).

إنها الحقيقة المنبثقة الواضحة الجلية، فالله تعالي هو النور، وكل نور في السماوات والأرض إنما هو من نوره يشع ويبرق، وينتشر في الكون، إنها حقيقة النور بسورة النور، تتساوق فيها الآيات وتتناسق في قوة وإشراق حتى تخرج العباد من الظلمات إلي ضياء غير محدود بل ممدود يملئ أرجاء السماوات والأرض. ومن المأثور عن النبي ﷺ: أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات (al-Tabarani, n.d)، وحجابه النور (Muslim, n.d)، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره (Ibn Majah, 2009)، وفي المعراج قال: نورا أنّى أراه (Muslim, n.d).

فالكيان البشري لا يقوي طويلا على تلقي ذلك الفيض الغامر دائما، فعاد يقارب مداه، ويقربه إلى الإدراك البشري المحدود في مثل محسوس (Sayyed Qutb, 2003)، فبنوره وهداه يهتدي من في السماوات والأرض (al-Wahidi, 1995)

والمثل المضروب للتقريب. فمثل نور الله في قلب المؤمن، أو مثل هدي الله من التنزيل والوحي في قلب المؤمن كمثل مشكاة (al-Sam'ani, 1997) وبمجرد ذكر المشكاة ينتقل الفكر إلى مشاهد التخييل التصويرية في بيت ريفي عتيق، فلا يعلم المشكاة ولا الكوة ولا الفتيلة من موضع الزجاجة، ولا الزيت إلا من عاش هناك أو شاهد، وتبدأ مشاهد التصوير.

تقترب زاوية الارتكاز شيئا فشيئا من المشكاة وَهِيَ: الْكُوَّةُ الَّتِي لَا مَنفَذَ لَهَا (al-Baghawi, 1997)، يوضع فيها المصباح حتى لا يتناثر ضوؤه والعجيب أن هذه المشكاة في غاية الإنارة والضياء، كأن ضياءها ضوء الشمس، ويظهر في خلفية المشهد إطار من نور الآيات المزهرات من خلال ظلال اسم السورة، فتنير خلفية المشهد بنور وضيء شفيف مطمئن هادئ، يسكب في جنبات الروح السكينة والأنس، ويفتح للنفس طاقات الضياء في ملكوت الله البعيد المترامي.

ثم يعود البصر إلى المشكاة ليتأمل ما فيها، جدار وكوة مشعة، وكأن نور مصباحها يخرج على هيئة إشعاعات مترامية البعد لينير الكون من حولنا في جو غاية في الدفيء والأمان والسكون.

مصباح وفتيل، ومشكاة وقنديل، وزيت وزجاجة، وكوكب دري في مكانة عليَّة، وزيتونة لا شرقية ولا غربية، ألفاظ تسكب في القلب رهافة النور وشفافيته، فكلها ذات شعاع وضياء.

وفي استدعاء سياق الآية نجد أنها محاطة بهالة من الأنوار من قبلها ومن بعدها وكأنها الماسة في عقد اللؤلؤ.

ففي حد الزنا نور يحذر السائرين من الوقوع في حدود الله، وفي سد الباب على قاذفي المحصنات ثمانين جلدة جراء إطفاء نورهن بوصمهن بالفاحشة.

وفي الملاعنة والتفريق عند الخيانة حكمة وضياء فقد انطفئ نور الأسرة، وفي إماتة الشائعات عن الفواحش نور، والإصلاح بين المؤمنين نور.

والعفو والصفح عن المؤمنين نور، وغض الطرف عن الحرمات يورث العبد إيمانا ونور، ويخرج من بيوت الله أعظم النور علي أيد رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وحين يترل الغيث من السماء نري الودق يخرج من خلاله يكاد سنا برقة يذهب بالأبصار من شدة النور. فالآية تشع نورا وضياء وسياقها يدل على التناسق العجيب والتساوق المتميز (Sayyed Qutb, 2003).

وبالاقتراب من منطقة الارتكاز نري المشكاة بوضوح، بداخلها مصباح والمصباح: سراج ضخم ثاقب فِي زُجاجَةٍ أراد قنديلا من زجاج عليه زجاجة (al-Zamakhshari, 1986)، فلا تسل عن جمال المصباح وانبثاق النور منه، ولا عن الكوة التي جمعت نورة، فكأنها كوة من نور ولا تسل عن جمال الفتيل في القنديل عند اشتعاله،

ولا عن صفاء الزيت ولمعانه وضيائه، ثم ارجع إلى الزجاجة على فم القنديل وروعتها كأنها الشمس تنير الكون، ليخرج النور من البيت العتيق ليسبح في أرجاء الكون الفسيح.

كل ذلك النور والضياء إنما هو مثل على صدر المؤمن حين يلامس الإيمان شغاف قلبه، فصدره المشكاة وفي قلبه الكوكب الدري، والوحي والتنزيل في جزر قلبه، فهو الزيت والوقود الذي به حياته. وشبه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافا هي في قلب المؤمن، وهي الصفاء والرقة والصلابة فيرى الحق والهدى بصفائه وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته، ويجاهد أعداء الله تعالى ويغلظ عليهم ويشتد في الحق، ويصلب فيه بصلابته (Ibn al-Qayyim, 1990).

فإذا ابتعدنا عن البيت غاية البعد، وتلاشت ملامحه فلا تميز بين نوافذه وأبوابه، اتضح لك أنه أصبح كالكوكب الدري في أفق السماء نورا وضياء، وينتهي المشهد علي نور الكوكب في أفق السماء.

التخييل في مشاهد النعيم والعذاب.

ولقد أشاد الله تعالى باليوم الآخر حيث أكثر من ذكره، وعدد من أسمائه وأوصافه، فمن يوم القيامة ويوم الحسرة والبعث والفصل، ليوم التلاق، ويوم الآزفة والتناد، ويوم الجمع، والوعيد والحساب، ويوم الخروج والساعة ويوم التغابن، والحاقة والطامة والصاخة، والقارعة الغاشية. ولكل اسم له مدلوله الذي يتميز به، وما تعددت الأسماء إلا لكثرة التذكير بهذه الحقيقة العظمي التي غفل أكثر الناس عنها، قال تعالى (لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (سورة ق: ٢٢). إنها محطات ومشاهد من الغيب المكنون، تعايشها الأرواح، لترجع بها إلى الدنيا منكسرة الفؤاد، لتعلن خضوعها وإذعانها للملك الجبار.

قال تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ *وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَينَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) (الأنعام: ٩٤).

يبدأ المشهد في وصف أكبر الناس جرما وأعظمهم ظلما، الذين يفترون علي الله كذبا، ومن تقول على الله بما لم يقله سبحانه، وإيهام الناس أنه من عند الله، والصنف الثاني المتنبئون الكذابون ممن أدعى النبوة إفكا وبهتانا كمسيلمة الكذاب وغيره، قَالَ عِكْرِمة وَقَتَادَةُ: نَزَلَتْ فِي مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ (Ibn Kathir, 1999) والصنف الثالث هم الذين يريدون مضاهاة كلام الله بكلامهم وأن باستطاعتهم النسج على منواله وطريقته.

وكعادة طريقة القرآن في العرض، يأتي بالمحسوسات، ليرد بها على المعنويات، فإنه أبقي في الحس، وأعظم في الزجر، وأرقي في الرد، وأنبل في الغاية. لقد أتي بصورة مفزعة مقلقة، في مشهد يقطر ندما وألما لو تري فجوابُ «لو» محذوفٌ، تقديره: «لرأيت عجبا أو هولا (al-Tha'alibi, 1997).

ويبدأ المشهد المصور المتحرك في غاية العنف، لهؤلاء المجرمون الذين ذكرهم في صدر الآية، و لم يذكرهم مرة أخري إنما تجاهل ذكرهم وعرَّض بهم، نعم هم المجرمون فمن غيرهم، صورهم وهم في غاية الضعف والهوان والذل، حين الاحتضار، بمشهد مفزع مقلق حين تنهمر عليهم الغمرات- وَالْغَمْرَةُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ مَا يَغْمُرُ، أَيْ يَغُمُّ مِنَ الْمَاءِ فَلَا يَتْرُكُ لِلْمَغْمُورِ مَخْلَصًا (Ibn 'Ashur, 1973). وأصل الغمر للماء إذا غمر المكان وغطاه و لم يقل سكرات الموت بل غمرات، فيرسم حالهم وكأنهم في واد سحيق عميق وإذ بالسيل يغمرهم ولا يمهلهم، ويومئ المشهد بظلاله لشدة السيل وعنفوانه من خلال جرس كلمة غمرات فإنه لا يغمرهم مرة ولا مرتين بل غمرات، ثم يبدأ في رسم مشهد آخر داخل هذا المشهد، في عمق الغمرات، إنهم ملائكة العذاب هناك باسطة أيديهم بالضرب والإيلام حتى ينتهوا من نزع أرواحهم من أجسادهم، لتجتمع ألوان العذاب وهم أضعف ما يكون، تجتمع الغمرات مع ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم مع العذاب النفسي مع تبكيت الملائكة لهم وتوبيخهم، فهل أنتم قادرون على التمرد على مرادات الحق؟ إن كنتم كذلك فليظهر كل منكم مهارته في التأبّي على قبض روحه (al-Sha'rawi, 1997) ويسدل الستار على هلاك محتوم وهلاك مؤكد. ثم ترفع الستار على مشهد مغاير بعد فجوة زمنية ومكانية، هنا الآخرة فقد انتهت الدنيا وأصبحت ماض قد أنتهي وهاهم المجرمون الهالكون بين يدي الله يوبخهم (ولقد جئتمونا فرادا كما خلقناكم أول مرة، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) لقد جئتم إلينا فرادي كما جئتم الدنيا فرادي، وأين ما خولناكم من المال والأولاد والجاه، لقد تركتموه وراء ظهوركم، إنها لحظات التقريع والتأنيب، إنه العذاب النفسي الذي تذوب منه القلوب، أين شركائكم الذين كنتم تظنون أنهم سيشفعون لكم اليوم، أين ذهبوا؟ لم تركوكم؟ لم تخلوا عنكم؟ لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون، ويسدل الستار وينتهي المشهد على تلكم الآلام.

التخييل في قصص القرآن الكريم.

لقد استغرق ذكر القصص في القرآن الكريم حجما كبيرا، وتعددت طرق عرضه لإيصال غاياته بأيسر الأساليب، ليكون قريبا في سهولة عرضه، فيجتمع الغرض الفني مع الغرض الشرعي. وقال تعالي (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (سورة يوسف: ١١١) وهي عبارة عن سلسلة من المشاهد المتلاحقة المتناغمة يسلم بعضها بعضا في لطف وتوائم، ليتم التصوير في أبداع وبراعة في قوة العرض والإحياء، وتخييل العواطف والانفعالات، ورسم

الشخصيات (Sayyed Qutb, 2013) قال تعالى(وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) (سورة طه، 9،10)

ويبدأ المشهد الأول لموسى عليه السلام وأهله حين سَارَ بهم، قِيلَ: قَاصِدًا بِلَادَ مِصْرَ بَعْدَمَا طَالَتِ الْغَيْبَةُ عَنهَا أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ، فَأَضَلَّ الطَّرِيقَ، وَكَانَتْ لَيْلَةً شَاتِيَةً، وَنَزَلَ مَنْزِلًا بَيْنَ شِعَابٍ وَجِبَالٍ، فِي بَرْدٍ وَشِتَاءٍ، وسحاب وظلام، وَضَبَابٍ، وَجَعَلَ يَقْدَحُ بِزَنْدِ مَعَهُ لِيُورِيَ نَارًا، كَمَا جَرَتْ لَهُ الْعَادَةُ بِهِ، فَجَعَلَ لَا يَقْدَحُ شَيْئًا، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَرَرٌ وَلَا شَيْءٌ. فبينَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا (Ibn Kathir, 1999).

فقال لأهله امكثوا والضمير هنا يومئ إلى زوجته وأولاده حفاظا عليهم، ابقوا هنا لقد رأيت نارا لعلى آتيكم منها بفتيل أو عود نستدفئ به أو أجد من يهدينا السبيل. ويتقدم موسى عليه السلام إلى النار ليبدأ المشهد التالي.

يظهر موسى عليه السلام يخطو خطوات ثابتة حتى يصل إلى النار ليتفاجأ أنها ليست نارا إنما هو نور يشع ويضيئ، وفى ذروة انفعاله واندهاشه مما يراه إذ به يسمع صوت الحق ﷻ يهز أركان المكان ويملؤوه سكينه وأنسا وجلالا وتعظيما (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) (سورة طه: ١٢) إنه صوت الحق ليس كصوت البشر ليسكن الوجود من حول موسي عليه السلام وتنتقل زاوية الارتكاز إلى الأعلى لنجد موسى عليه السلام يقف وحيدا فريدا وكأنه يقف وحده في الكون الفسيح الكبير كنقطة في ملكوت الله العظيم بين يدي ربه ﷻ وقد خلى الكون من حوله وسكن. إنها لحظات الارتقاء والعلو؛ ارتقاء العنصر البشري لتلقى كلام الحق ﷻ من غير واسطة، إنها لحظات التجلي والنور التام والسكينة والأنس لتتوقف الساعات واللحظات ويتوقف العمر والكون بأكمله لتلك اللحظات، لننظر لموسى عليه السلام مشدوها من جلال الموقف فلا يستطيع قولا ولا رأيا. إنها لحظات الصمت وتداخل المشاعر والخواطر والسكينة وامتلاء القلب بالهيبة والجلال والوقار، ومهما كتب الكتاب في جلال هذا الموقف فلن يفي أحد منهم.

(...فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) كيف تقف أمام الملك الجبار بالنعلين، اخلع نعليك فالمقام عظيم، فيستجيب موسى عليه السلام لكلام الحق سبحانه، ويصغى قلبه وتطيع جوارحه، لتحدث في القصة فجوة لطيفة لنري بعدها موسى عليه السلام حافي القدمين واقفا ساكنا خاشعا.

(وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ) (سورة طه: ١٣) إنه اختيار من بين جميع البشر، لكن كيف كانت مشاعر موسى عليه السلام ودواخله النفسية حين قال له ربه أنه اختاره من بين جميع البشر واختصه بكلامه دونهم، فالصمت والسكون يكون أبلغ في بعض الأحيان من كل حديث.

ولا يزال ربه يكلمه (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ. فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ) (سورة طه: ١٤-١٦) إنني

أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إِلَهَ إلا أنا فلا تعبد غيري (al-Tabari, n.d) ولا يزال موسى عليه السلام واقفا ساكنا لا يتكلم من جلالة الموقف وهيبته.

الخاتمة

وأخيرا فقد تبين توافق كل من معنى التخييل في اللغة وفي الاصطلاح، وأن الإعجاز التصويري المشتمل على التخييل هو أحسن أداة لوحدة بناء النص القرآني وبيان تماسكه وترابط أجزاءه وفقراته، في أسلوب رصين يسحر الألباب، وتخضع له القلوب.

ولذا يجب الاستمرار في البحث العلمي عن بقية ألوان التخييل الفني في القرآن الكريم، فلا يزال هذا الباب يحتاج إلى مزيد من العناية والاهتمام، فإلى الآن لا نجد كتابا واحدا جمع بين دفتيه جميع آيات القرآن بهذه الطريقة.

References:

Al-Baghawi, Abu al-Hasan Al-Shafi'e. (1997). *Ma'alim al-Tanzil fi Tafsir al-Qur'an.* Dar Tayyibah li al-nashr wa al-tauzi'.

Al-Jawhari al-Farabi, Abu Nasr Isma'il ibn Hammad. (1987). *Al-Sihah Taj al-Lughah wa Sihah al-'Arabiyyah.* Dar al-'Ilm li al-Malayin.

Al-Jurjani, Abd al-Qahir ibn Abd al-Rahman ibn Muhammad. (2004). *Dala'il al-I'jaz.* Maktabah al-Khanji.

Al-Sam'ani, Mansur ibn Muhammad. (1997). *Tafsir al-Sam'ani*. Dar al-Watan.

Al-Sha'rawi, Muhammad Mutawalli. (1997). *Tafsir al-Sha'rawi*. Matabi' Akhbar al-Yaum.

Al-Tabarani, Abu al-Qasim Sulaiman ibn Ahmad ibn Ayyub. (1995). *Al-Mu'jam al-Awsat*. Dar al-Haramain.

Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (n.d). *Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an*. Mu'assasah al-Risalah.

Al-Tha'alibi, Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Makhluf. (1997). *Al-Jawahir al-Hisan fi Tafsir al-Qur'an*. Dar Ihya' al-Turath.

Al-Wahidi, Abu al-Hasan Ali ibn Muhammad. (1995). *Al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-'Aziz*. Dar al-Qalam al-`Shamiyyah.

Al-Zamakhshari, Mahmud ibn Amru. (1986). *Al-Kashshaf an Haqa'iq Ghawamid al-Tanzil*. Dar al-Kitab al-Arabi.

Fatimah Sa'ed. (2018). Mafhum al-Khayal wa Wazifatuhu. Ph.D thesis, University of Ummul Qura, Mecca.

Ibn 'Ashur, Muhammad al-Tahir. (1973). *Al-Tahrir wa al-Tanwir*. Al-Dar al-Tunisiyyah li al-nashr.

Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abu Bakr al-Jauziyyah. (1990). *Al-Tafsir al-Qayyim*. Dar wa Maktabah al-Hilal.

Ibn Faris, Ahmad Abu al-Hasan. (1979). *Mu'jam Maqayis al-Lughah.* Dar al-Fikr.

Ibn Kathir, Abu al-Fida; Isma'il al-Qurashi al-Dimashqi. (1999). *Tafsir al-Qur'an al-'Azim*. Dar Tayyibah li al-nashr wa al-tauzi'.

Ibn Majah, Abu Abdillah Muhammad ibn Yazid. (2009). *Sunan Ibn Majah.* Dar al-Risalah al-'Aliyah.

Muhammad Diraz. (2000). *Al-Naba' al-'Azim*. Dar Tayyibah li al-nashr.

Muslim ibn al-Hajjaj ibn Muslim. (n.d). *Al-Jami' al-Sahih*. Dar al-Jayl.

Sayyed Qutb. (1987). *Fi Zilal al-Qur'an*. Dar al-Syuruq.

Sayyed Qutb. (2013). *Al-Taswir al-Fanni fi al-Qur'an.* Dar al-Syuruq.

Solah al-Khaledi. (2012). *Nazariyyah al-Taswir al-Fanni fi al-Qur'an*. Dar al-Faruq.